وتتحد مأساة سامي بلبنى مع مأساته « بالمالك الوقح » الذي يتصور انه يقرع بابه . وكأن لبنى في خيانتها وظلمها ليست سوى مالك بيت سامي الذي يطالب بحقه في بيت قد اغتصبه . وهنا تتجسد مأساة الفلسطيني في ظل الاحتلال . يقول :

... ذلك الشبح المتوحش ! شبح لبنى ولا شك ! (بغضب) كلا .. كلا .. بل شبح المالك الوقح ... ماذا ؟.. ألم يعد ثمة قانون يردع اولئك الاوغاد ؟ ماذا يظنون ؟ انني متاع لهم ! يقتحمون بيتي كلما شاؤوا !!... قلت لك كلا ... لن افتح ... حطم الباب ان استطعت.! (معبرا بيديه) انني سأكتم انفاسك بيدي هاتين ...

ويلتفت سامي ناحية المتفرجين باستغراب وكأنه يراهم للمرة الاولى . ويصبحون شخصية ثانية في المسرحية . ويكون المسرح بخشبته وصالته هو بيت سامي ، ويغدو المتفرجون دخلاء في بيته . ويرمزون بذلك الى العصابات الصهيونية التي تحتل فلسطين . فيخاطبهم قائلا :

يا اله السماء ! انتم ... ماذا تفعلون هنا ؟ كيف دخلتم داري بحق الشيطان !؟ كيف استطعتم ذلك !؟ (بغضب) ماذا ! ألم يعد ثمة قانون في العالم !؟ (باستغراب) منتهى الوقاحة ! انني لا استطيع أن أتصور ! كيف يسمح شخص لنفسه دخول بيت غير بيته . ودون اذن صاحبه !؟ (بغضب) حتى حديقة الحيوان ... بل والمقابر اصبح لدخولها وقت معين ! بل وثمة ابواب لها تقفل على موتاها !! انني .. انني لا افقه كيف تدخلون بيتي كما .. كما لو كنتم تدخلون خانا .. او .. او مرحاضا عاما !؟

ويرتد سامي من مأساة الاحتلال الى تصور لبنى . ولكن هـل تختلف مأساته مع المحتلين عن مأساته معها ؟ ان سامي يدرك في أعماق لاوعيه ان المأساة واحدة في جوهرها . فيقول ان مأساته مع لبنى نتيجة لما ارتكبه المحتلون . فقد فعلت ما فعلت بايعاز منهم حين استطاعوا ان يستعبدوا غباءها . فيغدو المحتلون حية خادعة اغرت حواء بالتفاحة فسقطت وآدم من الفردوس الى عالم التحول والفساد . وكان السقوط علة كل داء . يقول :

لبنى ... لو انك الان هنا يا لبنى .. كنت تقذفين بهؤلاء الذئاب الى الشارع .. الى الشارع .. ولكنك.. ولكنك بعيدة عني الان .. لقد رحلت بعيدا .. هجرتني .. لا بد وانك فعلت ذلك بايعاز منهم ! فقد سيطروا على رأسك الصغير .. استعبدوا غباءك !!.

ويعود سامي بذاكرته الى الماضي المشرق عسى ان ينسى ظلام الحاضر وبروده . ويعيد خلق فردوسه المفقود حيث يرى لبنى كما رآها للمرة الاولى . ويسبح في عالم ملائكي لا يطاله فساد ولا يرقى اليه الظلام . ويعانق عبر خياله المرأة ــ المثال ، حواء الجنة . ويراها للمرة الاولى عند الصباح ، والشمس لم تزل طفلة بعد انبعاثها من بحر الموت والظلام ، وكأن لبنى هي الشمس ــ الطفلة التي يرى العاشق المتصوف عند الوصول اليها نورا لا تقوى عين انسانية على التطلع اليه . ويولد حبه مع ولادة الشمس طفلا بريئا ما زال خياله يحيا في عالم المثال وان هبط جسده الى عالم كون وفساد . وتكون لبنى بحيرة اخضرار تحمل في اعماقها صور الخصب والحياة ، لانها الالهة ــ الام، مبدأ الحياة وعلة الوجود ، وصوتها هديل حمامة بشرت نوحا بخليقة جديدة ، وروح قدس أعلنت انتصار الانسان على الموت واكتسابه حياة ابدية . يقول :

مع انسام الصباح .. ودفق عبير الشمس عبر نافذتي .. كان يدلف الي ذلك الهديل الرخيم من خلف شباكها .. وعند المساء .. كنت ألم ببيتها لاسمعها .. كانت دائما تغني .. فتعلق على شباكها قلبي . وذات صباح طروب رأيتها .. بحيرة الاخضرار رأيت ! تلك المترامية على هدب الافق البعيد في عينيها . وذلك الفجر الملوح في وجهها الصغير !